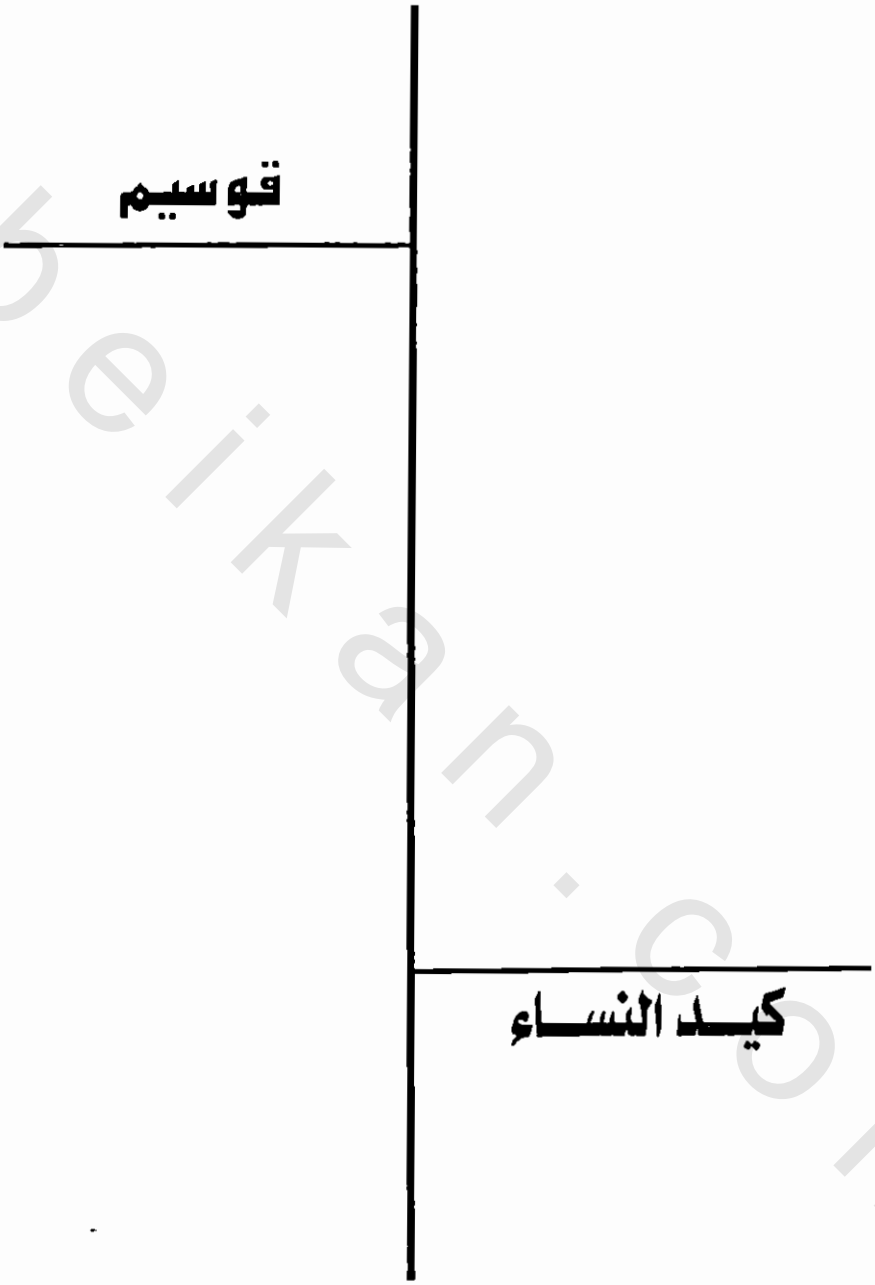

obeikan.com

obeikan.com

قوسيم

زوجة السلطان أحمد الأول

كان من عادة السلاطين العثمانيين الخلاص من أخواتهم بالقتل فور إنجابهم حتى تظل السلطة لأولادهم وخشيت السلطانة "قوسيم" زوجة السلطان أحمد الأول صاحب الجامع الأزرق باستانبول أن يتم تولية ابنه "عثمان" من زوجته الأولى "ماخفيروز" السلطنة بعد وفاته وأن يقوم بقتل أبنائها "إخوته" بعد وفاة أبيه السلطان أحمد بعد أن ينجب ليحتفظ هو أيضا بالحكم والولاية لأولاده .

استخدمت السلطانة نفوذها مع السلطان المحتضر وسعت لاستبعاد ابنه عثمان لحساب عمه مصطفى المختل عقليا والذى ليس له أبناء لتتيح لنفسها فرصة السيطرة على أمور الحكم فترة أطول حتى يكبر أبناؤها ويتسنى لأحدهم ارتقاء العرش ، وبالفعل نجحت في ذلك إلا أن رجال القصر لم يمكنوها من إكمال مؤامرتها وخلعوا السلطان المختل بعد ثلاثة أشهر بتحريض من "أغاس الحريم" في القصر الذي نادى بعثمان أكبر أبناء السلطان أحمد ليتولى السلطنة باسم عثمان الثانى ، وكان السلطان الصغير الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة قوى الشخصية يعرف كيف يتصرف في مثل هذه الأمور وحتى لا يكون لأحد سلطان عليه ويأمن المكائد النسائية والمؤامرات تخلص من "النحاس الحريم" وفرض العزلة على السلطانة وعين صدرا أعظم جديدا وغير المسئولين على "تتريك" الجيش والشرطة والإدارة ولجأ في ذلك إلى عناصر أناضولية .

وجدت السلطانة في ذلك فرصة لاستعادة نفوذها باستثارة معارضى السلطان ممن خسروا مواقعهم خاصة من العسكريين الانكشارية الذين تمردوا مطالبين بتنحية مستشارى السلطان الذي بغض طلبهم وكان ذلك سببا في تفجر الموقف وهجومهم على القصر واقترابهم عن

السلطان السابق وتنصيبه من جديد وبذلت قوسيم جهدها للقبض على عثمان وإعدامه بعد ذلك حتى تنهى المشكلة من جذورها .

فرض الإنكشارية سطوتهم على البلاد وانتشرت الفوضى واستغلت "قوسيم" ضعف السلطان وجنونه وسيطرت على كل شئ لتدير دفة الحكم في البلاد وتعين صدرا أعظم من أنصارها وتتخلص بعد ذلك تباعا من مدبرى الانقلاب الذين عملوا لحسابها حتى تأمن شرهم ، ثم انتهى الأمر بخلع السلطان مصطفى للمرة الثانية وتنصيب أكبر أبنائها البالغ من العمر أحد عشر عاما سلطانا على البلاد باسم "مراد الرابع" لتستقر السلطة بين يديها واستمر الحال على ذلك عشر سنوات ، أمسكت فيها بزمام الأمور بيد من حديد بمعاونة رجالها في القصر ، فكانت تعين من تريد وتعزل من لا تريد حسب هاوها خاصة منصب الصدر الأعظم حتى أنها تخلصت من ثلاثة منهم بالقتل لعدم اطمئنانها إن بقوا أحياء ، وليس الصدر الأعظم فقط بل إن منصب "الباشدفترداو" (وزير المالية) المسئول المالى للدولة تغير تسع مرات وكانوا في الغالب ضحايا أو كباش فداء للمشكلات المالية والاضطرابات .

أمور كثيرة واضطرابات مختلفة مرت بالسلطنة استطاعت أن تتغلب عليها بالعنف والقمع في أغلب الأوقات واستمر مراد الرابع في الحكم الذي كانت أمه تعاونه فيه حتى مات في الثانية والعشرين ، وتولى السلطنة من بعده أخوه إبراهيم الأول ، وحاولت أمه معاونته لكنه كان مريضا عاجزا منغمسا في شهواته ، وهذا جعل الأمور بالكامل في يد السلطانة .

ازدادت دسائس الحريم في القصر وازداد القلق من مستشار السلطان "جينجى خوجا" الذي كان ينافسها أحيانا من خلال السلطان خاصة في تعيين بعض ذوى المناصب العليا ، كالصدر الأعظم وعزله

حتى كادت الأمور تفلت من يدها ، وتضيع السلطنة في الوقت الذي يقضى فيه السلطان إبراهيم كل وقته في شهواته وملذاته النسائية .

انقض الإنكشارية على القصر متمردين ليخلعوا السلطان ويقتلوه حيث تشير كل الدلائل أن أمه وراء ذلك ليتولى من بعده "محمد الرابع" ابن "إبراهيم" وحفيد "قوسيم" وهو في السادسة من العمر ، وتحاول "قوسيم" الاستمرار في لعب نفس الدور باسم حفيدها ، لكن الأمر كان قد أفلت من يدها لأن الحفيد "السلطان الجديد" كانت أكثر قدرة على الكيد ، وكانت تعلم الكثير من الحقائق التي كانت تلقنها لابنها الذي أعلمته بقتل جدته لأبيه - ابنها - من أجل السيطرة على الحكم ، وتستطيع "خديجة طورخان" أم السلطان أن تدبر لها من يقتلها خنقا ليتخلص الجميع من شرها .

* * *